

عَظِيمٌ مِنَ الْعُظَمَاءِ يَعِيشُ فِي قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ لِهَذَا الْعَظِيمِ ابْنٌ بَهِيُّ الطَّلَعَةِ ، مَقْتُولُ السَّاعِدِينَ اسْمُهُ (أَنْوَرُ) ، وَلَكِنْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ أَضَافُوا إِلَى اسْمِهِ لَقَبَ « شَجَاع » ، فَقَدْ رَأَوْهُ يَوْمًا وَهُوَ بَعْدُ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ ، يَهْجُمُ عَلَى ذَنْبٍ ضَعْفٍ ، - « يَا سَيِّدِي وَأَبِي ! لَقَدْ بَلَغْتَ الْيَوْمَ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِي ، وَأَوْدُ لَوْ أَجْرَبْتُ حَظِّي فِي الْحَيَاةِ ، فَأَثَّرَ هَذَا الْكَلَامُ فِي نَفْسِ أَبِيهِ ، - « إِنَّكَ لَعَلَى حَقٍّ يَا وَلَدِي ، فَمَا كُنْتُ لِأَحُولُ دُونَ رَغْبَتِكَ وَطُمُوحِكَ ، فَسِرْ تَرَأْفَكَ بَرَكَتِي وَدَعَوَالِي » . وَانْطَلَقَ مُنْشَرِحَ الصَّدْرِ مُنْتَهَجَ الْفُؤَادِ . وَاسْتَمَرَ يَسِيرُ فِي رَحْلَتِهِ مُتَنَقِّلًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ مُدَّةَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ . وَلَمْ تَغُلْ رَحْلَتُهُ هَذِهِ مِنْ أَشْرَارٍ تَعَرَّضُوا لَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ فِي صِرَاعٍ خَرَجَ مِنْهُ تَارَةً غَالِبًا وَطَوْرًا مَغْلُوبًا . وَاتَّفَقَ لَهُ أَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ يَوْمًا الْإِسْتِرَاكُ فِي حَمَلَةٍ بَعْرِيَّةٍ ، هَدَفُهَا تَأْدِيبُ جَمَاعَةٍ مِنْ لُصُوصِ الْبَحَارِ ، فَسَارَتْ لَيْلًا تَمَخَّرُ عُبَابَ الْمَاءِ ، وَسَمَاءٌ مُرْصَعَةٌ بِالنُّجُومِ ، وَلَكِنْ أَظْلَمَ الْجَوُّ فَجَاءَ ، وَثَارَتْ الزُّوَابِعُ ، فَارْتَطَمَتِ السَّفِينَةُ بِصَغْرَةٍ كَبِيرَةٍ كَسَرَتْ أَلْوَاحَهَا ، فَابْتَلَعَهَا الْبَحْرُ بِمَنْ عَلَيْهَا . أَمَّا صَاحِبُنَا أَنْوَرُ (فَقَدْ قَذَفَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ إِلَى سَطْحِ الْبَحْرِ ، فَسَبَحَ وَسَبَحَ عَلَى غَيْرِ هُدًى ، وَلَاحَتْ لَهُ بَقْعَةٌ سَوْدَاءَ غَيْرٍ وَكَانَتْ إِحْدَى الْجُزُرِ ، فَاسْتَجَمَعَ قُؤَاهُ وَنَزَلَ بِالْجَزِيرَةِ ، وَتَامَ نَوْمًا عَمِيقًا . صَحَا أَنْوَرُ فِي الصَّبَاحِ ، وَأَخَذَ يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي الْبَقْعَةِ الَّتِي رَمَاءُ الْقَدَرِ إِلَيْهَا ، فَرَأَى عَلَى مَرْمَى الْبَصَرِ ، فَمَشَى إِلَيْهِ وَقَرَعَ الْبَابَ ، الثَّوَرُ يَقُولُ : وَعَلَى الْأَثَرِ فَتَحَ الْبَابَ ، وَدَخَلَ مِنْهُ أَنْوَرُ ، وَوَجَدَ نَفْسَهُ إِذَا عِمْلَاقُ ' يَبْلُغُ طَوْلُهُ عَشْرَةَ أَمْتَارٍ ، وَسَمِعَهُ يَقُولُ لَهُ : - « مَا اسْمُكَ ؟ وَمَاذَا جِئْتَ تَفْعَلُ هُنَا ؟ » فَظَنَرَ إِلَيْهِ أَنْوَرُ نَظْرَةَ الْمُتَحَدِّى وَقَالَ : - « اسْمِي أَنْوَرُ الشَّجَاعُ ، وَقَدْ جِئْتُ أُبْحَثُ عَنِ الْقُرْوَةِ » . فَقَالَ لَهُ الْعِمْلَاقُ هَارِبًا سَاحِرًا : - " إِنْ ثَرَوْتُكَ مَضْمُونَةٌ عِنْدِي يَا أَنْوَرُ الشَّجَاعُ ، فَأَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى خَادِمٍ ، فَتَسَلَّمَ عَمَلُكَ فِي الْحَالِ . وَحَادَرَ أَنْ تَدْخُلَ غُرْفَ الْمَنْزِلِ فِي ذَلِكَ هَلَاكَ ! » فَكَّرَ أَنْوَرُ بَعْدَ ذَهَابِ الْعِمْلَاقِ وَقَالَ لِنَفْسِهِ : مَاذَا لَوْ زُرْتُ غُرْفَ الْبَيْتِ أَوَّلًا ؟ لَا بُدَّ أَنْ فِيهَا أَشْيَاءٌ مُمْتَنِعَةٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْنِيَهَا عَنِّي : فَوَجَدَ فِيهَا مَوْقِدًا كَبِيرًا فَوْقَهُ قِدْرٌ تَغْلَى وَلَا نَارَ فِي الْمَوْقِدِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ إِنْ فِي الْأَمْرِ لَسِرًّا ! فَإِذَا هِيَ قَدِ اسْتَحَالَتْ إِلَى لَوْنِ النُّحَاسِ . فَرَأَى فِيهَا مَا رَأَى فِي الْأُولَى مِنْ مَوْقِدٍ كَبِيرٍ « وَقَدِرَ فَوْقَهُ يَغْلَى السَّائِلُ فِيهَا غَلِيَانًا ، وَلَا نَارَ تَحْتَهَا ، فَغَمَنَ خُصْلَةَ الشَّعْرِ فِي ذَلِكَ التَّائِلِ وَأَخْرَجَهَا ، فَإِذَا هِيَ بِلَوْنِ الْفِضَّةِ ، وَكَانَتْ تَخْتَوِي عَلَى تَحْتَوِيهِ الْغُرْفَتَانِ الْأُولَيَانِ ، وَلَكِنْ خُصْلَةُ الشَّعْرِ قَدْ تَحَوَّلَتْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ إِلَى لَوْنِ الذَّهَبِ ، فَضَحِكَ وَقَالَ : مَنْ يَدْرِي لَعَلَّ السَّائِلَ فِي قَدْرِ الْغُرْفَةِ الرَّابِعَةِ ، يَكُونُ مِنْ عَصِيرِ الْأَلْمَاسِ ، نَظَرَتْ إِلَيْهِ فِي شَفَقَةٍ وَأَسَفٍ وَقَالَتْ لَهُ : - أَلْحَقِي فِي هَذَا الصَّبَاحِ . رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ بِخِدْمَتِهِ ، وَحَصَرَ عَمَلِي فِي تَنْظِيفِ الْإِسْطَبْلِ ، وَمَا هُوَ بِالْأَمْرِ الْعَسِيرِ » فَقَالَتْ : - « كَانَتْ السَّمَاءُ فِي عَوْنِكَ فَمَا إِلَى تَنْظِيفِهِ مِنْ سَبِيلٍ ، فَكُلُّ مِقْدَارٍ مِنَ الزَّيْلِ تُغْرِجُهُ مِنَ الْبَابِ يَرْجِعُ عَشْرَةَ أَضْعَافِهِ مِنَ الثُّبَاكِ . وَلَكِنْ سَاهِدِيكَ إِلَى طَرِيقَةٍ تَنْتَصِرُ عَلَى السَّخَرِ الْمَعْتُودِ فِي هَذَا الْإِسْطَبْلِ : أَكُنْ أَرْضَهُ يَمْقُبُضُ الْمِكْنَسَةِ . فَشَكَرَهَا أَنْوَرُ عَلَى نَصِيحَتِهَا ، وَجَلَسَ إِلَيْهَا يُبَادِلُهَا الْحَدِيثَ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَتَاةُ ابْنَةً جَنِيَّةً اسْتَطَاعَ الْعِمْلَاقُ الشَّرِيرُ أَنْ تَأْسِرَهَا ، فَلَمْ يَمْضِ عَلَى أَنْوَرٍ وَكَرِيمَةٍ (وَهَذَا اسْمُ الْفَتَاةِ) غَيْرَ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ ، حَتَّى أَصْبَحَا صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ : فَالْمَوْدَةُ سَرِيعَةُ الْإِتِّصَالِ بَيْنَ قُلُوبٍ رَفَقَاءِ الشَّقَاءِ ، وَوَعَدَ كُلُّ مِنْهُمَا الْآخَرَ أَنْ يَكُونَ لِصَاحِبِهِ إِذَا تَمَكَّنَا مِنَ الْغَرَارِ . وَكَادَ النَّهَارُ يَنْقُضِي وَهُمَا فِي أَحَادِيثِ حُلُوهٍ شَائِقَةٍ ، فَهَبَتْ كَرِيمَةُ صَدِيقَتِهَا إِلَى أَنْ يَقُومَ بِعَمَلِهِ قَبْلَ عَوْدَةِ الْمِمْلَاقِ ، فَنَهَضَ مُتَرَاخِيًا كَأَنَّهُ اسْتَيْقَظَ مِنْ حُلُمٍ جَمِيلٍ ، وَسَارَ إِلَى الْإِسْطَبْلِ ، فَانْقَلَبَ الْإِسْطَبْلُ فِي طَرْفَةٍ عَيْنٍ ، نَظِيفًا لَامِعًا كَأَن لَمْ تَتَجَمَّعْ فِيهِ قَطُّ قُطْعَانُ الْغَنَمِ . وَانْتَهَى أَنْوَرُ مِنْ عَمَلِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَ بَابِ الدَّارِ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ سَيِّدِهِ . وَعَادَ هَذَا بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَشَرَّرَ الْغَضَبُ يَنْطَاطِرُ مِنْ عَيْنَيْهِ وَقَالَ يُخَاطِبُ أَنْوَرُ : " فَتَصَنِّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَالَ : - مَنْ كَرِيمَةٌ هَذِهِ ؟ أَهِيَ وَخَشْ مِنْ وَحُوشِ هَذَا فَسَكَّتِ الْعِمْلَاقُ وَلَمْ يُجِبْ ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ جَمَعَ أَغْنَامَهُ ، وَقَبِلَ أَنْ يَمْضِيَ بِهَا إِلَى الْمَرْعَى صَاحٍ بِأَنْوَرٍ وَقَالَ لَهُ : - « عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَنِي الْيَوْمَ بِحِصَانِي الَّذِي تَرَكْتُهُ يَرعى فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَلَكَ أَنْ تَسْتَرِيحَ وَأَخْبَرَهَا عَنْ شُغْلِهِ . فِي ذَلِكَ النَّهَارِ . فَتَبَسَّمتْ وَقَالَتْ : - " مَا هُوَ بِشُغْلٍ سَهْلٍ ، فَالْحِصَانُ عَنِيفٌ حَرُونَ ، وَلَكِنِّي سَأُرْشِدُكَ إِلَى وَسِيلَةٍ تُمْكِنُكَ مِنْهُ ، فَأَصْعُ إِلَى : سَوْفَ تَرَى مِنْعَرِيهِ يَقْدِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَبَ ، فَخُذْ مَعَكَ اللَّجَامَ الْمُعْلَقَ وَرَاءَ بَابِ الْإِسْطَبْلِ ، وَارْمِ بِهِ بَيْنَ فَكَيْهِ عِنْدَمَا يَفْتَحُ فَمَهُ يُعْتَبِحُ أَطْوَعُ مِنْ حَمَلٍ وَدَبِيعٍ . فَطَارَ أَنْوَرُ إِلَى الْجَبَلِ وَفِي يَدِهِ الشُّكِيمَةِ ، يَجْرِي إِلَيْهِ وَمِنْعَرَاهُ يَقْدِفَانِ النَّارَ وَاللَّهَبَ . فَانْتَظَرَهُ أَنْوَرُ بِقَدَمٍ ثَابِتَةٍ ، رَمَى بِاللَّجَامِ بَيْنَ فَكَيْهِ ، فَهَدَأَ وَسَكَنَ ، فَفَقَزَ إِلَى ظَهْرِهِ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَأَدْخَلَهُ الْإِسْطَبْلَ وَسَارَعَ إِلَى كَرِيمَةٍ يَقْضِي مَعَهَا بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِي شَهْيِ الْأَحَادِيثِ . فَلَقِيَ عِنْدَ الْبَابِ أَنْوَرُ يَسْتَقْبِلُهُ قَائِلًا : إِنْ الْحِصَانُ فِي الْإِسْطَبْلِ يَا سَيِّدِي » . فَتَوَجَّهَ الْعِمْلَاقُ إِلَى الْإِسْطَبْلِ ، وَرَجَعَ مِنْهُ وَهُوَ يَزْمَجِرُ وَيَغُورُ خُورَ الْبَيْرَانِ وَيَقُولُ : - " إِنَّكَ وَلَا شَكَّ قَدْ رَأَيْتَ كَرِيمَةً . ! . فَتَصَنِّعَ أَنْوَرُ الْبَلَاهَةَ وَقَالَ : - « مَنْ كَرِيمَةٌ هَذِهِ ؟ بِحَقِّ السَّمَاءِ إِلَّا أَرَيْتَنِي هَذَا الْوَحْشَ الَّذِي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ ! » . فَقَالَ الْعِمْلَاقُ : - « سَوْفَ تَرَاهُ غَدًا » . وَلَمْ يَعْهَدْ إِلَى أَنْوَرٍ فِي عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ ، الْقَدَرُ الْوَاسِعَةُ وَاطْبِغِيهِ ، ثُمَّ اسْتَلْقَى إِلَى سَرِيرِهِ رَاغِبًا فِي قِطِّ مِنَ الرَّاحَةِ ، وَجَاءَتْ بِأَنْوَرٍ وَجَرَحَتْهُ جُرْحًا صَغِيرًا فِي إِحْدَى أَصَابِعِهِ ، إِلَى جَفَتِيهِ ، فَنَامَ وَغَطَّ غَطِيطًا كَأَنَّهُ الرُّعْدُ يُزَلِّزُ الْجِبَالَ . وَعَمَدَتْ كَرِيمَةُ إِلَى سَبَكَيْنِ فَأَلْقَا فِيهَا كُلَّ مَا كَانَ فِي مَتْنَاوِلِهِمَا ، مِنْ ثِيَابٍ بَالِيَةٍ . - " وَالْآنَ سَاعِدْنِي عَلَى مَلَأِ الْقَدْرِ » . وَأَحْذِيهِ

قَدِيمَةٍ وَمَا إِلَى ذَلِكَ . ثُمَّ قَادَتْهُ إِلَى الْغُرْفِ الثَّلَاثِ ، وَالتَّقَطَّتْ مِنَ الثَّانِيَةِ كُرَةً مِنْ فَضَّةٍ ، وَاسْتَوَلَتْ مِنَ الثَّالِثَةِ عَلَى ثَلَاثِ كُرَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، - « عَلَيْنَا أَنْ نُغَادِرَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَإِلَّا هَلَكْنَا » . فَتَحَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ « فَاسْتَعْرَقَ فِي النَّوْمِ سَاعَةً أُخْرَى أَوْ سَاعَتَيْنِ صَبَا بَعْدَهُمَا وَصَاحَ : - " يَكَادُ يَنْضَجُ . (فَاسْتَسَلَّمَ إِلَى النَّوْمِ . ثَانِيَةً ، - " وَيَعَكُ يَا كَرِيمَةَ هَلْ نَضِجَ الطَّعَامُ ؟ " فَقَالَتْ لَهُ نُقْطَةُ الدَّمِ الثَّالِثَةِ : - « نَضِجَ تَمَامَ النُّضْجِ .)) فَبَحِثَ الْعِمْلَاقُ عَنْ كَرِيمَةَ فَلَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهَا ، وَمَضَى إِلَى لَقْدِرٍ وَأَلْقَى عَلَيْهَا نَظْرَةً فَاحْصَةً ، فَهَالَهُ أَنْ يَوَى فِيهَا عَدَدًا مِنَ الْأَحْذِيَةِ وَالْمَلَابِسِ ، فَتَمَلَّكَهُ غَضَبٌ شَدِيدٌ وَصَاحَ فَلَمَحَهُمَا بَعْدَ قَلِيلٍ ، فَالْبَحْرُ غَيْرُ بَعِيدٍ ، وَسَوْفَ نَبْلُغُهُ قَبْلَ عَدُونِنَا » . فَقَالَتْ لَهُ مُشِيرَةً إِلَى الْعِمْلَاقِ الَّذِي كَانَ عَلَى بُعْدِ خُطَوَاتٍ مِنْهُمَا : - « أَنْظُرْ . . . هَا هُوَذَا . إِنَّنَا هَالِكَانِ إِذَا لَمْ يُنْقِذْنَا هَذَا السَّحَرُ ! » وَتَنَاوَلَتْ كُرَةَ النُّحَاسِ وَرَمَتْ نَهَا إِلَى الْأَرْضِ وَهِيَ تَقُولُ : يَا كُرَةُ النُّحَاسِ فَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَلَى الْفُورِ ، وَأَحْدَثَتْ فَجْوةً عَمِيقَةً بَعْدَ وَتَابَعَ الْهَارِبَانِ رُكُضَهُمَا إِلَى الْبَحْرِ ، فِي حِينٍ كَانَ الْعِمْلَاقُ ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْهَبَاجُ أَشَدَّهُ ، وَرَمَاهَا فَوْقَ الْفَجْوةِ وَاتَّخَذَهَا جِسْرًا طَبِيعِيًّا مَشَى . وَاجْتَاَزَ الْهُوءَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ . وَكَانَ أَنْوَرُ وَكَرِيمَةُ قَدْ وَصَلَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ إِلَى الثَّاطِي ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ وَيَا لَلْأَسَفِ ، زَوْرَقٌ وَلَا فَخَابَ رَجَاؤُهُمَا ، وَلَمْ تَفْقِدْ كَرِيمَةَ وَعَيْهَا ، يَا كُرَتِي الْغَضِيَّةَ عَوْنُكَ فِي الْبَلِيَّةِ فَمَا كَادَتْ تَنْطِقُ بِهِذِهِ الْجُمْلَةِ السَّحَرِيَّةِ ، حَتَّى انْبَثَقَ مِنَ الْأَمْوَاجِ ، وَحِينَمَا بَلَغَ الْعِمْلَاقُ الثَّاطِي ، كَانَتْ هَذِهِ السَّفِينَةُ تَسِيرُ قُدَمَا . فِي عَرْضِ الْبَحْرِ مَنْشُورَةً الشَّرَاعَ . وَقَصَدَ الْعِمْلَاقُ مَنْزِلَهُ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ وَالْغَيْظُ يَقْطَعُ قَلْبَهُ ، وَمَا إِنْ أَقْلَعَتِ السَّيْفِينَةُ بِالْهَارِبَيْنِ ، حَتَّى التَفَتَتْ أَنْوَرُ إِلَى كَرِيمَةَ وَقَالَ لَهَا فَرِحًا مَسْرُورًا : - « لَقَدْ نَجَوْنَا . لَقَدْ نَجَوْنَا » فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَةُ مُرْتَعِدَةً مُضْطَرِبَةً . . . لَا يَزَالُ الْخَطَرُ يَحِلُّ فَوْقَ رَأْسِنَا . فَلِلْعِمْلَاقِ شَفِيعَةٌ مِنَ السَّاحِرَاتِ ، وَإِنِّي لَأَخْشَى أَنْ تَتَّارَ لَهُ مِنَّا . وَفَنِي يَقُولُ لِي إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَنِي لَحْظَةً وَاحِدَةً ، عَرَضْتَنِي لِلْخَطَرِ ، وَلَكِنْ يَزُولُ عَنِّي حَتَّى أَزِفَ إِلَيْكَ » . فَقَالَ لَهَا أَنْوَرُ مُبْتَسِمًا : - « لَا تَخَافِي يَا عَزِيزَتِي ، فَإِنَّ حُبَّنَا أَقْوَى مِنْ كُلِّ خَطَرٍ » . كَانَتْ السَّفِينَةُ تَشُقُّ طَرِيقَهَا عَبْرَ الْأَمْوَاجِ ، وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ رَسَتْ فِي الْمِينَاءِ الَّذِي لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا مِنَ الْقَصْرِ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ أَنْوَرُ ، حَتَّى التَفَتَتْ إِلَى السَّفِينَةِ يُرِيدُ أَنْ يَشْكُرَ الْمَلَّاحِينَ عَلَى جَهْدِهِمْ وَحُسْنِ رِعَايَتِهِمْ . وَلَكِنْ كَانَتْ السَّفِينَةُ قَدْ تَوَارَتْ بِمَلَّاحِيهَا كَأَنَّمَا غَاصَتْ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ . وَلَا تَسَلُّ عَنْ فَرَحَةٍ أَنْوَرُ حِينَمَا عَرَفَ مَزَارِعَ أَبِيهِ وَالْقَصْرَ الْقَائِمَ فِي وَسْطِهَا ، وَمَالَ عَلَى كَرِيمَةَ يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ لَهَا عَنْ سُرُورِهِ بِعَوْدَتِهِ إِلَى قَرِيبَتِهِ ، فَتَنَبَّهَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى مَلَابِسِهَا الزَّرِّيَّةِ فَقَالَ لَهَا : - « إِنْ أُسْرَتِي تُعْنَى كَثِيرًا بِالْمَظَاهِرِ ، فَلَسَوْفَ تَشْتَاءُ إِذَا رَأَتْكَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الزَّرِيِّ الْحَقِيرِ ، وَلَسَوْفَ تَزْدَادُ اسْتِيَاءً إِذَا ذَهَبْنَا إِلَى الْقَصْرِ مَشْيًا عَلَى الْأَقْدَامِ ، فَانْتَظِرْنِي قَلِيلًا أَعُدُّ إِلَيْكَ بِشِيَابٍ جَمِيلَةٍ ، وَبِفَرَسٍ تَرْكَبِينَهَا إِلَى الْقَصْرِ » . فَإِنَّكَ سَوْفَ تَنْسَابِي إِذَا لَقِيتَ أَهْلَكَ وَأَصْدِقَاءَكَ . فَقَاطَعَهَا أَنْوَرُ وَبَدَدَ مَخَافَهَا ، فَاسْتَوْفَّقَتْهُ سَيِّدَةُ شَفَرَاءٍ لَا يَعْرِفُهَا ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَفِي يَدِهَا تَفَّاحَةٌ ، وَقَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً غَرِيبَةً : - « أَيُّهَا الْفَارِسُ الْجَمِيلُ ! لَقَدْ عُدْتُ مِنْ سَفَرٍ طَوِيلٍ ، وَلَا أَظُنُّكَ إِلَّا جَوْعَانَ عَطْشَانَ ، فَأَقْبِلْ مِنِّي هَذِهِ التَّفَّاحَةَ ، وَكُلَّهَا هَنِيئًا ، وَلَسْتُ أَعْتَقِدُ ، وَأَنْتَ الْفِي الْمُوَدَّبِ الْمُهْدَبِ ، أَنَّكَ نَسِيتَ آدَابَ الْكِيَاسَةِ وَالْمَجَامَلَةِ ، فَقَبِلْ أَنْوَرُ الرَّجَاءَ ، وَمَا كَادَ يَعْضُ عَلَى التَّفَّاحَةِ ، حَتَّى تَوَلَّاهُ ذُهُولٌ شَدِيدٌ ، فَتَابَطَتْهَا وَرَجَعَا مَعًا إِلَى الْقَصْرِ يُشَارِ كَانِ فِي مَبَاهِجِ الْحَفْلِ . وَبَقِيَتْ تَتَوَدَّدُ إِلَيْهِ حَتَّى وَعَدَهَا بِالزَّوْاجِ ، وَنَسِيَ كَرِيمَةَ كُلَّ النَّسْيَانِ طَالَ الْوَقْتُ عَلَى كَرِيمَةَ وَلَمْ يَرْجِعِ الْحَبِيبُ الْمُنْتَظَرُ ، فَقَامَتْ وَالشَّمْسُ تَكَادُ تَغِيبُ وَرَاءَ الْأُفُقِ ، وَسَارَتْ فِي إِتْجَاهِ الْقَصْرِ بَارَكِيَّةَ حَزِينَةٍ ، وَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا بِكُوْخٍ مُتَهَدِّمٍ وَقَفَّتْ عَلَى بَابِهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ تَهْمُ بِحَلْبِ بَقَرَتِهَا ، فَعَيَّنَتْهَا كَرِيمَةَ فِي وَدَاعَةٍ وَأَدَبٍ ، وَطَلَبَتْ مِنْهَا أَنْ تَسْمَعَ لَهَا بِقَضَاءِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي زَاوِيَةٍ مِنَ الْإِسْطَبَلِ ، فَحَدَّثَتْ إِيَّاهَا الْعَجُوزُ طَوِيلًا وَلَمْ تُعْجِبْهَا ثِيَابُهَا الْغَرِيبَةُ ، فَقَالَتْ لَهَا تُعْجِزُهَا مُتَهَكِّمَةً : فَأَخْرَجَتْ كَرِيمَةَ مِنْ جَبِيهَا كُرَةً مِنْ ذَهَبٍ وَأَلْقَتْهَا فِي الْإِنَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : يَا كُرَةُ مِنَ الذَّهَبِ مَا خَابَ عِنْدَكَ الطَّلَبُ وَعَلَى الْفُورِ امْتَلَأِ الْإِنَاءَ بِقِطْعِ الذَّهَبِ ، فَاسْتَوَلَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى الْعَجُوزِ ، وَقَفَزَتْ إِلَى الْإِنَاءِ فَحَمَلَتْهُ وَخَرَجَتْ مِنَ الْكُوْخِ وَهِيَ تَصِيحُ فِي كَرِيمَةَ : - « الْكُوْخُ وَالْبَقَرَةُ وَالْإِسْطَبَلُ كُلُّ هَذَا لَكَ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ الْعَظِيمَةُ . إِنِّي ذَاهِبَةٌ إِلَى الْمَدِينَةِ أَعِيشُ فِيهَا عِيشَ الْأُمِيرَاتِ . أَمْ لَوْ لَمْ أَكُنْ تَجَاوَزْتُ السِّتِينَ مِنْ عُمْرِي ! » . وَمَضَتْ تَوْسِعُ الْخُطَا إِلَى نَاحِيَةِ الْقَصْرِ . وَعَزَّ عَلَى كَرِيمَةَ أَنْ تَسْكُنَ هَذَا الْكُوْخَ الْحَقِيرَ بَعْدَ قَلْعَةِ الْعِمْلَاقِ . فَأَخْرَجَتْ مِنْ جَبِيهَا كُرَةً أُخْرَى مِنَ الذَّهَبِ ، وَرَمَتْهَا فِي الْمَوْقِدِ الَّذِي كَانَتْ تَشْتَعِلُ فِيهِ بَعْضُ أَعْوَادٍ مِنَ الْقَصَبِ ، وَقَالَتْ تُخَاطِبُ كُرَتَهَا : يَا كُرَةُ مِنَ الذَّهَبِ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْكُوْخِ حَتَّى قَرْنَى الْبَقَرَةِ . وَحَكَتِ الْعَجُوزُ حِكَايَتَهَا لِلنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي قَرْيَةِ أَنْوَرٍ إِلَّا عَلِمَ بِهَا . وَعِنْدَ الْفَجْرِ نَهَضَ نَاطِرُ الزَّرَاعَةِ ، وَزَاغَ بَصَرُهُ عِنْدَمَا دَخَلَ الْبَيْتَ وَرَأَى فِتْنَةً عَلَى جَانِبِ عَظِيمٍ مِنَ الْجَمَالِ ، جَالِسَةً قُرْبَ النَّافِذَةِ ، وَكَانَ هَذَا النَّاطِرُ شَابًّا مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْضَى بِهِ زَوْجًا ، فَضَحِكَتْ مِنْهُ وَاسْتَهْزَأَتْ ، فَهَدَّاهَا بِالسَّجْنِ بِتُهْمَةٍ . السَّحَرِ وَالشَّعْوَودَةِ ، فَلَمْ تَكْتَرِثْ لَهُ ، فَأَمْسَكَ بِالْمِلْقَطِ وَأَسْرَعَ يُعِيدُهَا إِلَى مَوْضِعِهَا فَقَالَتْ لَهُ كَرِيمَةُ : وَالتَّقِطُ بِهِ الْجَمْرُ ، وَأَعِدْهُ إِلَى الْمَوْقِدِ » . ثُمَّ لَفَظَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ السَّحَرِيَّةَ : - « أَبْرَا كَادِبْرَا » . وَأَضَافَتْ تَقُولُ : - • إِنْ أَتَيْتَ الشَّرِيرُ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مُمِيكًا بِالْمِلْقَطِ تَلْتَقِطُ بِهِ الْجَمْرَ وَتُرْجِعُهُ إِلَى مَكَانِهِ . فَفَضَى الرَّجُلُ طُولَ نَهَارِهِ يَقُومُ بِهَذَا الْعَمَلِ ، وَقَطَعَ الْجَمْرَ تَشْبِ فِي وَجْهِهِ ، وَحَالَمَا غَابَتِ الشَّمْسُ سَقَطَ

الْمَلَقُطُ مِنْ يَدَيِ نَاطِلِ الزَّرَاعَةِ فَقَرَّ هَارِبًا كَأَنَّ التَّيْمَانَ أَوْ الْمَدَالَةَ تَجْدُ فِي أَثَرِهِ . وَكَانَ قَدْ سَمَعَ بِقِصَّةِ الذَّهَبِ ، فَجَاءَ يُجَرِّبُ هُوَ أَيْضًا حَظَّهُ فِي الزَّوْاجِ مِنْ هَذِهِ الْفَتَاةِ الْغَرِيبَةِ . وَوَصَفَتْهُ بِقِلَّةِ الذَّوْقِ إِذْ تَرَكَ بَابَ الْعُرْفَةِ مَفْتُوحًا ، فَقَالَتْ كَرِيمَةً كَلِمَتَهَا السَّحَرِيَّةُ : - : أَبْرَا كَادِرًا . ، وَأَضَافَتْ تَقُولُ : بِالْبَابِ ، تُغْلِقُهُ وَتَفْتَحُهُ عَلَى مَرِّ الدَّقَائِقِ ، . فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا عَلَى رَجُلٍ جَالِي إِلَى جِوَارِ سَرِيرِهَا ، قَاسَى الْمَظْهَرُ ، عَبُوسَ الْوَجْهِ ، سَمِعَ هُوَ كَذَلِكَ بِأَخْبَارِ الذَّهَبِ ، فَجَاءَ يَطْلُبُ يَدَ رَبَّةِ الذَّهَبِ ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ كَرِيمَةً إِلَى الْإِسْطَبْلِ ، فَلَحَقَ بِهَا إِلَيْهِ ، وَاعْتَرَضَتْ الْبَقَرَةُ طَرِيقَهُ ، وَاعْتَنَمَتْ كَرِيمَةً هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَقَالَتْ كَلِمَتَهَا السَّحَرِيَّةُ : - : أَبْرَا كَادِرًا ، وَأَضَافَتْ تَقُولُ : - : " لِيَمْسِكَ بِكَ ذَيْلُ الْبَقَرَةِ حَتَّى تَدُورًا مَعَ حَوْلِ الْعَالَمِ » . فَأَنطَلَقَتِ الْبَقَرَةُ بِسُرْعَةِ الْبَرْقِ تَجُرُّ مَعَهَا الْعُمْدَةُ مُصْعَدَةً فِي الْجِبَالِ ، هَابِطَةً إِلَى الْأَوْدِيَةِ ، مُجْتَازَةً الْأَنْمَارَ ، مُرْفَرِفَةً فَوْقَ الْبِحَارِ ، وَبَعْدَ سِتِّ وَثَلَاثِينَ سَاعَةً مِنْ هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْعَجِيبَةِ ، تَوَقَّفَتِ الْبَقَرَةُ بِمَنْ تَجُرُّ مَعَهَا فِي سَاحَةِ الْقَرْيَةِ ، وَهَرُولُ الْعُمْدَةِ إِلَى يَتِهِ مُتَصِيبَ الْعَرَقِ ، مُحِطَ الْأَضْلَاحِ . . كَانَ أَهْلُ أَنْوَرٍ بَلِّ الْقَرْيَةِ كُلُّهَا تَوَاصِلُ اسْتِعْدَادِهَا مِنْذُ يَوْمَيْنِ لِلْإِحْتِفَالِ بِزِفَافِ السَّيِّدَةِ الشَّقْرَاءِ إِلَى أَنْوَرٍ . وَيَوْمَ اكْتَمَلَ عَقْدُ الْمَدْعُوعِينَ ، رَكِبَ الْعُرُوسَانِ مَرْكَبَةً فَاخِرَةً مَزِيَّةً بِالْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ ، فَتَحَطَّمَتِ السَّارِيَةُ الْمَرْبُوطَةُ إِلَيْهَا الْجِيَادَ ، وَانْقَسَمَتِ الْمَرْكَبَةُ شَطْرَيْنِ ، وَجَاءَ بِالنَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ لِإِصْلَاحِ الْمَرْكَبَةِ ، وَتَنَافَسَ الرِّجَالُ الْأَشْدَاءُ يُعَاوِلُونَ رَفْعَ الْمَرْكَبَةِ مِنَ الْحُفْرَةِ ، فَذَهَبَ جَهْدٌ هَوْلَاءُ وَأُولَئِكَ ضِيَاعًا . فَاقْتَرَبَ عِنْدَئِذٍ نَاطِلُ الزَّرَاعَةِ وَرَبِّيسُ الْحَرَسِ وَالْعُمْدَةُ مِنَ الْوَالِدِ أَنْوَرٍ ، وَقَالَ الْأَوَّلُ : - : « إِنَّ فِي ذَلِكَ الْمَنْزِلِ الَّذِي نَرَاهُ يَلْمَعُ وَيَسْطَعُ عَنْ بُعْدٍ ، فِتَاةٌ غَرِيبَةٌ عَنِ الدِّيَارِ ، فَرَأَيْتُ أَنْ تَسْتَعِيرَ مِنْهَا مِلْقَطَهَا ، وَنَضَعُهُ فِي مَكَانِ السَّارِيَةِ . » ، وَقَالَ الثَّانِي : - : وَرَأَيْتُ أَنْ تَسْتَعِيرَ مِنْهَا بَقَرَتَهَا الْقَوِيَّةَ وَتَرْفَعُ بِهَا الْمَرْكَبَةَ » . - : فَوَافَقَ الْوَالِدُ أَنْوَرٌ عَلَى هَذِهِ الْآرَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَجَرَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغُلَمَانِ إِلَى مَنْزِلِ كَرِيمَةٍ ، وَبِبَابِ الْعُرْفَةِ فَوَصَلَ بَيْنَ شَطْرَيِ الْمَرْكَبَةِ . وَرَبَطَ السَّائِقُ الْبَقَرَةَ إِلَى الْمَرْكَبَةِ فَاتَّسَلَتْهَا مِنَ الْحُفْرَةِ وَطَارَتْ بِهَا فِي سُرْعَةٍ جُنُونِيَّةٍ لَا إِلَى مَكْتَبِ مُوَيْقِ الْعُقُودِ . بَلْ رَجَعَتْ بِهَا إِلَى الْقَصْرِ . - : وَكَانَتْ الْمَوَائِدُ قَدْ أُعِدَّتْ . وَالطَّبَّاخُونَ قَدْ أَتَمُّوا صُنْعَ شَهِيِّ الطَّعَامِ ، فَقَالَ الْوَالِدُ أَنْوَرٍ : - : " غَدًا تَذْهَبُ إِلَى تَوْثِيقِ عَقْدِ الزَّوْاجِ ، أَمَّا الْيَوْمُ فَلْنَحْتَفِلْ بِزَوَاجِ أَنْوَرٍ وَعُرُوسِهِ » . - : ثُمَّ دَعَا الْمَدْعُوعِينَ إِلَى الْجُلُوسِ ، - : وَكَانَتِ الْمَعُونَةُ الَّتِي يَذَلُّنَهَا لَهُمُ الْفَتَاةُ الْغَرِيبَةُ قَدْ أَثَّرَتْ فِي نَفْسِهِ ، فَأَوْفَدَ إِلَيْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْفُرْسَانِ يَدْعُونَهَا بِاسْمِهِ إِلَى شُهُودِ الْمَهْرَجَانِ الَّذِي يُقَامُ احْتِفَاءً بِزَوَاجِ ابْنِهِ ، وَنَفْسُهَا حَزِينَةٌ حَتَّى الْمَوْتِ . - : وَصَلَتْ كَرِيمَةُ إِلَى الْقَصْرِ . فَخَفَّ الْوَالِدُ أَنْوَرٍ يُرْحِبُ بِهَا أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ ، وَأَجْلَسَهَا عَنْ يَسَارِهِ فِي الْمَقْعَدِ الْخَالِي ، فَحَزَّ الْأَلَمُ فِي صَدْرِهَا وَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : وَدَاعَا أَيْتُهَا الْأَحْلَامُ الْجَمِيلَةَ ! - : وَدَوَّى صَوْتُ الْوَالِدِ أَنْوَرٍ يَقُولُ : - : « لِنَشْرَبْ جَمِيعًا فِي صَبْحَةِ ضَيْفَتِنَا النَّبِيلَةِ ! » وَشَاءَتْ كَرِيمَةُ أَنْ تَعْتَمِدَ عَلَى أَمَلِهَا الْأَخِيرِ ، فَأَخْرَجَتْ كُرَّةَ الذَّهَبِ مِنْ جَيْبِهَا ، وَهَمَسَتْ بِهَا قَائِلَةً وَهِيَ تَقْرُكُهَا : - : يَا كُرَّةُ مِنَ الذَّهَبِ - : مَا خَابَ عِنْدَكَ الطَّلَبُ وَأَصْبَحْتَ كَأْسًا كَبِيرَةً مِنَ الْبُلُورِ ، وَرَجْتَ مِنْ أَحَدِ الْخَدَمِ أَنْ يُقَدِّمَهَا إِلَيَّ أَنْوَرٍ ، فَتَنَاوَلَهَا وَرَفَعَهَا إِلَى عَيْنَيْهِ عَلَى سَبِيلِ التَّعْيَةِ ، فَاضْطَرَبَ اضْطِرَابًا شَدِيدًا وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الْكَأْسِ ، وَأَرْتُهُ مَرَّاحِلَ حَيَاتِهِ الْمَاضِيَةِ . إِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي تَرَكَهَا فِيهَا عِنْدَ الشَّاطِطِي ، وَكَأَنَّمَا صَعَا مِنْ كَابُوسٍ ثَقِيلٍ ، فَصَاحَ صَيْحَةً أَذْهَشَتْ الْحَاضِرِينَ وَهُوَ يَقُولُ : - : « كَرِيمَةُ ! أَيْنَ أَنْتِ ؟ هَلْ تَصَفِّحِينَ عَنِّي ؟ » ثُمَّ ارْتَمَى عِنْدَ قَدَمَيْهَا بَارَكِيًا مُنْتَحِبًا . أَمَّا السَّيِّدَةُ الشَّقْرَاءُ ،